مَوْسُوعَةُ
فَوَائِدِ القُرآن الزكِيَّة

سُورَةُ العَلَقِ

أ.د خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة العلق

أ.د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة العلق

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾

هذه السورة الكريمة: سورة العلق، هي أول سور القرآن العظيم نزولاً على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو في جبل حراء. فجاء جبريل عليه السلام بالرسالة التي مطلعها ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ قال القرطبي رحمه الله تعالى، هذه السورة أول ما نزل من القرآن في قول معظم المفسرين. نزل بها جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم على حراء، فعلمه خمس آيات من هذه السورة[1] وقد نوهت هذه السورة عن القراءة والتعليم والتعلم.

فابتدأت سورة العلق بالأمر بالقراءة. حيث قال الله تعالى في مطلعها لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ اقرأ أيها الرسول صلى الله عليه وسلم بذكر ربك الذي خلق. اقرأ مستفتحاً قراءتك باسمه عَزَّ وجل. فربك هو الذي خلق كل شيء. فقد جمع الله تعالى في قوله عَزَّ وجل ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ جميع الخلق بدون استثناء. وبالتالي فإن الخالق العظيم هو الذي يستحق ويجب أن تستفتح باسمه القراءة.

مما يفيد وجوب استفتاح القراءة باسم الله تبارك وتعالى، وأنها قد أسست القراءة كأصل وأساس في هذا الدين العظيم، الذي قام على علم الخالق وفضله وشرعه جَلَّ جلاله. وقد وردت هذه القراءة باسم الرب جَلَّ جلاله ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ مضافاً للمخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم. قال ابن عاشور

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٨٠)

رحمه الله تعالى: إيذاناً بأن الرسول صلى الله عليه وسلم سيكون قارئاً، أي: تالياً كتاباً بعد أن لم يكن قد تلا كتاباً. كما قال تعالى في سورة العنكبوت ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ﴾ أي: من قبل نزول القرآن[١] وفي هذا رفع لمنزلته صلى الله عليه وسلم بما كلفه به ربه عَزَّ في علاه.

ثم بعد أن ذكر تبارك وتعالى أنه الخالق لهذا الخلق تدرج إلى تخصيص الإنسان بالخلق بعد العموم، لإفادة أنه المخصوص بالدعوة والخطاب والبيان الذي بعث الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال الله جَلَّ جلاله ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ إن ربك الله تعالى الذي خلق الخلق جميعاً، قد خلق هذا الإنسان ﴿ مِنْ عَلَقٍ ﴾ وهو الدم الجامد الذي تحول وتَكَوَّنَ من ماء الزوج والزوجة. فبالرغم من صغر حجم هذه النطفة وضعفِها إلا أنها تتحول بقدرته عَزَّ وجل إلى علقة، وهو الدم الجامد الذي قد تحول وتَكَوَّنَ من المني الأبيض، إلى قطعة دم حمراء. ثم تتحول هذه العلقة التي هي عبارة عن دم أحمر إلى لحمة كالمضغة الصغيرة التي يمضغها الإنسان. ثم ليتكون هذا الجنين، ثم يُولد طفلاً بقدرته عَزَّ وجل، ثم ينمو في مراحل نموه حتى يُصبح مكلفاً بما أوجبه الله تعالى عليه. وفي هذا لفت الانتباه لعظمة الله تعالى في خلقه وإبداعه الذي يستوجب من عباده طاعته وتوحيده جَلَّ جلاله. وأن هذا الإنسان هو عبد لربه الذي خلقه من علقة، فيلزمه ويجب عليه اتباع رسوله الذي أُنزِل عليه هذا القرآن العظيم.

ثم يتكرر الأمر بالقراءة للرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد، فقال جَلَّ شأنه ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ اقرأ باسم ربك الذي لا يعادله ولا يوازيه كريم أبداً في الإحسان والجود والعطاء، فليس له نظير في الكرم جَلَّ في علاه. وأعطت دلالة ﴿ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ الوصف الذي يفيد قوة المبالغة التي تعلو إلى أعلى درجات الكمال في الإكرام الذي لا نظير ولا شبيه له سبحانه وتعالى. فأنت تقرأ لربك المتصف بعظيم الكرم. وقد ورد التوجيه الكريم بالقراءة بفعل الأمر ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ ليفيد الوجوب واللزوم. مما يفيد أهمية العلم بدين الله تعالى، وعظيم ما كَلَّف اللهُ تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن تكليفه قائم على العلم من لدنه عَزَّ وجل.

ثم يُعظم الله تبارك وتعالى هدايته للإنسان للكتابة التي تحفظ العلم، وتُعِينُ على نقله وتداوله، فقال العزيز الحكيم ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ إن ربك أيها الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي هدى الناس للكتابة بالقلم، فعلَّم الإنسان الخط، وكتابة الحروف، والكلمات والجمل. مما يبين عظيم نعمة القلم، وعظيم نعمة الكتابة التي هدى الله تعالى الإنسان إليها. وأن الله تعالى هو الذي يُعطي ويُفيض العلم على العباد، وما يتعلمون، وما

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧٣٦/١٢)

يزدادون به علماً، وما يبتكرون ويخترعون. فقد أسند جَلَّ جلاله العلم له، فقال جَلَّ شأنه ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ فربكم هو الذي علم الإنسان بالقلم، ليكتب، ويُفصح ويحفظ به لنفسه ولغيره، ويقضي به حاجاته المتنوعة. مما يُوجب الحمد والشكر له عَزَّ وجل، بتوحيده بالعبادة، والطاعة والامتثال لرسوله صلى الله عليه وسلم. كما يفيد أن على راغب العلم أن يسأل مُنزل الكتاب الذي عَلَّم بالقلم بأن يعطيه مراده من العلم وغيره مما يحتاج إليه.

ثم يتدرج السياق الكريم إلى بيان عظيم ما امتن الله تعالى به على الإنسان. فقال جَلَّ شأنه ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فإن ربكم هو الذي علم الإنسان ما يجهله من العلم والمعرفة، فأثبت الله تعالى بقوله عَزَّ وجل ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ إثبات العلم له جَلَّ في علاه، وأثبت بقوله سبحانه وتعالى ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ أن الأصل في الإنسان هو انتفاء العلم منه، وهو سبحانه وتعالى الذي عَلَّم الإنسان كل علم تعلمه واهتدى إليه. فكل علم يبتكره ويخترعه الإنسان هو بتوفيق وهداية الله تعالى له بما أوصله ووصَّلَه إليه، فتحقق له ما ابتغاه وسعى إليه من المعرفة. مما يفيد أن على الإنسان ألا يفاخر بما عنده من العلم، فإنه قد اكتسب ما اكتسبه من العلم بفضله وامتنانه سبحانه وتعالى على هذا الإنسان، وأنه ليس بحوله ولا قوته؛ بل بكرم الله العزيز العليم. كما أن في هذا البيان تعليم للإنسان بأن يتواضع، وأن يشكر الله تعالى على ما منحه من علم. وأن على من طلب العلم أن يسأل مالكه ومعطيه الرحمن الرحيم.

ثم يتدرج البيان من الله العظيم إلى بيان حال الإنسان ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ إن في جنس الإنسان خصلة الطغيان، التي تعني أنه ينسب ما عنده لنفسيه، فيتفاخر به على غيره، ويتمادى في الإسراف والتبذير والتعالي والترفع. فإنه لم يُدرك ويعمل بقول ربه عَزَّ في علاه ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فإن الله تعالى هو الذي علم الإنسان وزوده بما هو فيه من علم، أو من معرفة، ومن ذلك طرائق التحصيل والتكسب، كالتجارة والصناعة، والطب وغيرها مما لا حصر له. ولذلك أفادت ﴿ كَلَّآ ﴾ الردع والزجر للإنسان الذي لا يعمل بدلالة قوله تعالى ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ وإنما يعمل بخصلة الطغيان ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ فيحتاج إلى ما يهذبه من تعاليم هذا الدين الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وواجبه أن يقبل ويُقْبِل على دين الله تعالى، وينهل منه، فإنه في أشد حالات الفقر إليه.

ثم يُظهر الله تعالى أدلة طغيان الإنسان، فقال عَزَّ وجل ﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ فإنه إذا رأى نفسه في كثير من الخير شعر بالاستغناء، فبطر وطغى، بما يفيد أن مشاعر الاستغناء جعلته يبطر ويطغى، وذلك بتجاوزه حدود ما يجب أن يتأدب به مع من أغناه سبحانه وتعالى، فإنه هو الغني الْمُغنِي. مما يفيد أن عليه أن

يعرف هذه المشاعر من الطغيان التي يتفاخر بها، فإن واجبه أن يتجنبها، ويعلم أن ربه هو الذي أعطاه، ويسر له العلم والمعرفة والرزق وجميع أنواع العطاء، فهو عَزَّ وجل الموفق إلى تحصيل ما حصل عليه.

ثم يضع اللهُ تبارك وتعالى لهذا الإنسان العلاج، فيقول جَلَّ شأنه ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ فإن مرجعك أيها الإنسان إلى ربك، فيحاسبك على ما كان منك فيما أعطاك. مما يلزم منك اتباع أخلاق وآداب دينه، بأن تعلم وتؤمن وتستشعر بأن الذي أعطاك هو ربك، وليس بحولك ولا قوتك ولا مهاراتك ولا قدراتك. فعليك أن تضبط فهمك وتصرفاتك بضوابط وأخلاق وآداب الدين وتعاليمه. وفي هذا تعليم وتصحيح للمفاهيم الجائرة عما يكتسب الإنسان من أنواع الرزق، فينفرد في فهمه وإدراكه القاصر على مهاراته وتدبيره في أسباب تحصيلها، وينسى ويتناسى أن الذي أفهمه وعلمه، ودبر له ما هو فيه من الخير هو الله سبحانه وتعالى، ولو شاء الله عَزَّ وجل لما مكنه مما هو فيه. مما يجب على المؤمن أن يستشعر بأن ما هو فيه من خير هو بفضل الله تعالى، ولو شاء لما مكنه مما هو فيه. فعليه أن يسند وينسب العطاء لربه، اعتقاداً بالقلب، وقولاً باللسان، وعملاً في التصرفات.

فإن قوله تعالى ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ قاعدة عظيمة في ضبط عقل وفهم وتصرفات الإنسان عن الطغيان وعن كل مفسدة، فإذا استشعر أن نفسه ميالة ومائلة لشيء من البطر هذبها بقوله تعالى ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ وإن تاقت نفسه للتعالي والتفاخر هذبها وردعها بقوله عَزَّ وجل ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ وإن شحت نفسه بما عنده عن الإنفاق والعطاء في أوجه الخير، قال لنفسه ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ وإن رأى غيره في أشر وبطر، نصحه ووعظه بقوله تعالى ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ فإنها قاعدة عظيمة وجليلة في الوعظ وتهذيب النفوس والعقول. ونسأل الله تعالى التوفيق لما يحبه ويرضاه، وأن يجيرنا من منكرات ومساوئ الأخلاق.

ثم يتجه البيان الكريم إلى هذا الإنسان الذي طغى، حتى أنه تمادى في طغيانه على غيره، فينهى ويحذر من عبد الله تبارك وتعالى، ووحده، وأنكر الشرك وأبطله. فيقول الله تعالى عنه ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴾ أرأيت أعجب من هذا الذي طغى وهو أبو جهل، حين ينهى ﴿ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ وهو النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن جرير الطبري وغيره من أهل التفسير رحمهم الله تعالى: أنها نزلت في أبي جهل، إذ يريد منع النبي عليه الصلاة والسلام من عبادة ربه بالصلاة عند الكعبة. وهي تشمل الرغبة عند كل طاغية، لأنه يريد أن يكون الناس مثله على الكفر والفساد.

وقد ورد البيان الكريم بسياق عام، لتستوعب أبا جهل وكل من سلك ذلك المسلك، وابتدأ البيان بصيغة التعجب والاستنكار ﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ تعجب من حال الطاغية الذي ينهى من هو قائم يعبد ربه وحده لا شريك له. لتشمل دلالة ﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ الرؤية البصرية بالعين، والرؤية بالبصيرة التي تبعث التأمل والتفكر في حال طغيانه الذي سار به إلى هذا الدرك من الكفر. وتعديه على غيره العابد الموحد لله تعالى.

ثم يُلحق اللهُ تعالى هذا التعجب بتعجب آخر، والذي يُثبت ويقرر به أن الذي وقع عليه النهي هو على الهداية الواضحة الظاهرة البينة، وأن الناهي واقع في حقيقة الضلال من الكفر. فقال اللهُ تبارك وتعالى ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ أفرأيت إن كان هذا الذي وقع عليه النهي على هداية، وهذا الناهي على ضلال. سؤال استفهام يفيد التعجب والاستنكار من أن يرى الطاغية أنه على حق، وأن المهتدي بهداية الله تعالى على ضلال. ليظهر أن الطغيان ينحرف بالمقاييس، وينحرف بالأحكام، لأن مفاهيم التقييم لديه متلبسة بالطغيان الذي أخرجه عن الحق، فيرى الحق باطلاً، والباطل صواباً. فهو تحليل عميق لانتكاسة الطاغية في أحكامه، كفرعون، وكل طاغية، فإنه يعيش بهذه المفاهيم والمقاييس المنحرفة.

ثم يؤكد تبارك وتعالى ذلك الْهُدَى الذي عليه المتعبد بالصلاة لربه جَلَّ شأنه من خلال سؤال مرتبط وتابع لما قبله، فيقول عَزَّ وجل ﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾ فهل يجمل ويحسن بهذا الطاغية أن ينهى ذلك العبد العابد الذي اتصف بالتقوى، ويأمر غيره بها؟ هل يجمل ويحسن به ذلك؟ سؤال استنكار، وجوابه من كل عاقل: أنه لا يحسن ولا يجمل به ذلك النهي. فإذاً كيف يكون منه ذلك النهي؟ إلا أنه قد تعالى بما هو فيه حتى أطغاه. مما يبين أثر الطغيان على الفهم.

وقد وصف الله تعالى هذا العابد بأنه يأمر بالتقوى ﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾ والتي تحوي على مخافة الله تعالى، والعمل بطاعته. فإن التقوى تجعل المتقي يعرف الصالحات من الطاعات فيعمل بها، ويأمر بها. ويدرك المعاصي والفواحش والمنكرات فيبتعد عنها، ولا تستهويها نفسه، لخوفه من الله تعالى، ورغبته في رضا الله عَزَّ وجل، والفوز بما وعد به عباده الصالحين. فيرى الحسن فيعمله، ويرى القبيح فيكرهه ويبتعد عنه.

فهذا الإنسان العابد لم يُحدِث ولا يحدث منه ما يستوجب أن يُنهى عنه، لأنه من المداومين على العبادة ﴿ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ وعلى هدية من الخير والصلاح ﴿كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ أو أنه يأمر غيره بالتقوى ﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾ فإن حاله في أوصاف ثلاثة. لا إنكار عليه فيها. فلا يصدر عنه ما يستوجب نهيه عما هو فيه. غير أن الذي نهاه مُحب للشر، كاره لطاعة ربه عَزَّ وجل.

ثم يتدرج البيان الكريم إلى وصف حال هذا الطاغية الناهي عبده عن الصلاة. فقال عَزَّ وجل ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ أرأيت إن كان هذا الناهي يكذب ويتولى عن الهدى. فقد اتصف بصفتين ﴿كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ أي: كذب بكل ما جاء عن الله تعالى، فَكَذَّب بالرسول صلى الله عليه وسلم، وكذب بالقرآن العظيم، وكذب بالبعث وأنكره. والتكذيب يحمل معنى الجحود، وهو معرفة الحق ثم تكذيبه وإنكاره. والصفة الثانية: هي التولي ﴿ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ أي: أنه أعرض عن الإيمان، بعد أن سمعه، فانقلب وعاد إلى الجهة التي جاء منها. وقد جمعت دلالة ﴿ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ أنه تولى بعقله وفهمه، وأيضاً تولى بجسمه، وانصرف. فقد أفادت وأعطت معنى: عدم الاهتمام والاكتراث إلى أقصى غايته. ليفيد أنه متلبس بكمال الطغيان والتجبر والتكبر.

ثم يحذر الله تعالى هذا الطاغية المكذب الذي ينهى المصلي عن صلاته وعبادته، وتوحيده لربه، بسؤال تقريري، بأنه يعلم بأن ربه يراه، ولكن مع ذلك يستعلي على الحق، بسبب طغيانه. فيقول الله تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ ألم يحصل العلم لهذا المكذب الناهي والمعارض للحق بأن الله تعالى يراه، ويعلم ما هو عليه؟ سؤال تقريري، يقرر به تبارك وتعالى بأن هذا المكذب الناهي عن الصلاة، أنه يعلم بأن ربه يراه، ولكن غشاه طغيانه، واستحوذ عليه الحسد والاستكبار. مما يبين أثر الطغيان على الطاغية، إذ يجعله في دائرة الاستعلاء، ولو على حساب نهايته التي تؤول به إلى النار. فليحذر الإنسان من شر الكبر والطغيان.

ثم يتوعده الله تعالى بقوة وشدة الأخذ له بالعذاب الشديد. فقال تعالى ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ كلا لئن لم ينته هذا الطاغية المعاند عما هو فيه من محاربة دين الله تعالى ﴿ لَنَسْفَعًۢا ﴾ لنأخذنه أخذاً شديداً ﴿ بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ بمقدمة شعر رأسه. قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: الناصية مُقَدَّم شعر الرأس. والأخذ من الناصية أخذ من لا يُترَك له تمكن من الانفلات. فهو كناية عن أخذه إلى العذاب[١] وبما يفيد التحقير والإذلال والإهانة لمن طغى وتكبر. وقد ورد مطلع التوعد والزجر من الله تعالى بحرف ﴿ كَلَّا ﴾ الذي أفاد تأكيد الردع السابق. ومع هذا فإن رحمته عَزَّ وجل تتجلى في هذا الوعيد الشديد، إذ أن من رحمة الله تعالى أنه أتاح له فرصة التراجع ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ فإن لم ينته سيصيبه الوعيد الشديد. بما يفيد تخيير له أن ينتهي عما هو عليه من التكبر والكفر، وأن يطيع ربه عَزَّ وجل، وذلك باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧٣٦/١٢)

ثم يصف الله تعالى هذا الطاغية المتجبر المتكبر بقوة طغيانه وتمرده وعصيانه، فقال تعالى ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ أي: فصاحب هذه الناصية التي سيؤخذ بها، مُتَّصِف بالكذب وارتكاب الآثام بالأفعال وبالأقوال. أي: سنأخذه بناصيته التي اتصفت بالقول الكاذب، والفعل الخاطئ. فقد اتصف بملاصقة الكذب له، قولاً باللسان، وعملاً بالأفعال. بما يفيد المبالغة في عناده. فهو كاذب في أقواله، وخاطئ في أفعاله. ومن بلاغة الوصف أن جعل الكذب والخطأ ملتصق بناصيته التي سيؤخذ بها إلى العذاب. أي: فصاحب هذه الناصية التي سيؤخذ بها متصف بالكذب وارتكاب الآثام بالأفعال وبالأقوال، فحري أن تُسفع هذه الناصية إهانة له بها.

ثم يأتي التحذير والإخبار عن انقطاع النفع والعون عنه ممن يتعالى بينهم من أهله وعشيرته. فقال الله تبارك وتعالى ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾ فعليه عند وقوع العذاب به أن يطلب من قومه وعشيرته أن يردون عنه العذاب إن استطاع واستطاعوا ذلك. لإفادة التعذر، وانقطاع النفع والعون. ومعنى ﴿ نَادِيَهُۥ ﴾ مجلسه ومن يجالسهم، الذي يتباهى فيه بينهم ﴿ فَلْيَدْعُ ﴾ أي: فليطلبهم بأن ينفعوه وينقذوه من العذاب. بما يفيد أنهم لا يستطيعوا أن يقدموا له نفعاً أبداً إذا جاءه عذاب الله تعالى، وحَطَّ به في الدنيا وفي الآخرة. وفي هذا تحذير وتنبيه عظيم له. ولكل من يحذو حذوه. وقد نال أبو جهل المهانة يوم بدر، بالقتل، وما دار بينه وبين ابن مسعود رضي الله عنه. فقد وجده في الرمق الأخير، وهو يقول: لولا غير أَكار قتلني. والأَكار هو المزارع، ويقصد بهم الأنصار. مما يفيد قوة التحسر حتى وهو في آخر لحظاته من الدنيا. وقد وجد ابن مسعود رضي الله عنه أبناء عفراء قد ضربوه حتى برك، وسقط على الأرض[1] فقد تنقص ممن قتله، وشعر بالإهانة. فهذا في الدنيا، وفي الآخرة كما قال تعالى في الآية السابقة ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ والآية التالية ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾

ثم يخبر الله تعالى عن جنوده من الملائكة الذين لا مفر له منهم. فقال الله تعالى ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ سنطلب له خزنة جهنم، وهم الملائكة العظام، قال عطاء رحمه الله تعالى: هم الملائكة الغلاظ الشداد[2] وذلك لأخذه بناصيته إلى عذاب جهنم.

ثم يكرر سبحانه وتعالى الردع والزجر، فقال جَلَّ جلاله ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ دعه واتركه، ولا تطعه فيما دعاك إليه من ترك الصلاة ﴿ وَٱسْجُدْ ﴾ واستمر في سجودك بالصلاة لربك ﴿ وَٱقْتَرِب ﴾

(١) خالد بن حامد الحازمي، الفوائد السنية من السيرة النبوية، ص (٢٣٣)

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٢٨١/٨)

واجتهد في التقرب إلى ربك عَزَّ وجل بالطاعة والعبادات. مما يفيد بأن على المؤمن ألا يطاوع المخذلين، والمتكبرين والمتغطرسين فيما يكون منهم من الفساد، بل عليه أن ينأى عنهم ويبتعد، وأن يتابع طاعته لربه بالصلاة، والتقرب إليه بالنوافل، وكثرة الطاعات، والدعوة إلى سبيل الخير والهدى، رجاء وابتغاء ما عند الله عَزَّ في علاه.

وبالرغم من أن الآيات في أبي جهل مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن سياق بيانها ورَد عاماً، لتكون قاعدة عامة في التعامل مع المكذبين، وكذلك لتكون عظة ونهياً لكل كافر. وهي دلالة تجمع بين رؤية بعض الكفرة، وما يحبونه ويودونه من ترك المؤمن لدينه، وبين ما يجب على المؤمن من الثبات وألا يغتر بكلام العابثين المجرمين. وأن يستخدم أسلوب الهجر والبعد عنهم، والاستمرار في طاعة الله تعالى كما شرع وأمر.

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة العلق. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.